تحذير العوام من زور الطغام

المصابين بشر العمى وأسوأ الأفهام

ذُبابٌ رأوا فوقَ الجِبالِ وُجودَهم　　ألا هُمْ ذُبابٌ والجِبالُ جِبالُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وعلى الأئمة المجتهدين ، وجميع العلماء العاملين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

أما بعد فيقول جامع هذه المجموعة المباركة المفتقر إلى رحمة مولاه ذي القوة المتين فكما انه لا يخلو زمان ولا مكان من الحاسدين الذين تقدم ذكرهم والمنافقين ، والجاهلين المغترين كذلك لا يخلو من الحمقى المجانين الذين يدّعون التحقيق والتدقيق وفي الحقيقة هم أشد حماقة من النعام وأضل من الأنعام .

ولا يخلو أيضاً زمان ولا مكان من الذين يزعمون أنهم مصلحون ،

ويعترضون على الأئمة المجتهدين - رضي الله عنهم - ويُكفِّرون المسلمين الموحِّدين وفي الحقيقة هم أعوان الشياطين ، وأضر على الاسلام من المبشرين الكافرين .

ولا يخلو زمان ولا مكان من المتزلِّفين المتهوِّرين الذين اشتروا الدنيا بالدين، ومهَّدوا السُّبُل أمام الملحدين والمارقين، وغشوا بأفعالهم وأقوالهم عامة المسلمين، ضائعون ومن تبعهم على عِلمٍ في تيه اللهو يتخبطون بهضابه من مَسِّ الملاهي والغفلات، وفي قعر الحضيض مرتطمون بأوحال الغرور والشهوات، أبرز صفاتهم التدليس، ومسايرة شيخهم إبليس فإياك يا مؤمن ، إيَّاك يا مسلم أن تغترّ بهيئاتهم وكلماتهم ، فقد باعوا كل فضيلة برذيلة لينالوا شهواتهم ، يُذَكِّرون ولا يتذكَّرون، ويعظون ولا يتَّعظون، وكأنهم ما سمعوا قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفُسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) ولا قرأوا (أفَحَسِبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم الينا لا تُرجعون) فيا ليتهم وعساهم أن يرعووا ويتدبَّروا هذه الآيات الكريمة (يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كُبرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يُحبهم ويُحبونه أذِلَّة على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافرين يُجاهدون في

سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء والله واسعٌ عليم۝ إنما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

ولله در شيخنا السيد محمد مهـدي الصيادي الرفاعي الشهير بـ (الرواس) رضي الله عنه حيث قال :

تمسَّك بذي عِلم منيرٍ على هدى — فأهلُ الهدى مثلُ النجوم الزواهر
وإنَّ أخا عِلم به الزيغُ كامنٌ — أضرُّ على الإسلام مِنْ ألف كافرِ

لذا فإني استحسنت نقل ما نقله سيدي السيد محمد أبو الهدى في رسالته المسمّاة بـ (النصيحة القدسية) عن شيخه سيدي السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بـ (الرواس) ـ رضي الله عنهم ـ قال المؤلف في رسالته المذكورة : قال شيخنا (يعني السيد محمد مهدي الرواس) رضي الله عنه :

قد يقوم بشقشقة اللسان أُناس يَدْعون إلى الدين وما هم منه بشيء يخبطون في الأحكام ، ولا يُميِّزون بين الحلال والحرام ، يريدون جعل الأحكام طوع آرائهم يتزلَّفون للمخالفين والخصوم

بلقلقة من منطوق ومفهوم ، يُحرّفون بها الكَلِمَ عن مواضعه يستندون عن رأي إلى آية أو حديث أو خبر هم عن كل فحاويها بمعزل، الحقيقة بمنزل وهم بمنزل .

إيّاك إيّاك أي طالب الحق أن تلفت نظرك إلى سطورهم فهي دون أساطير الأولين ، أو أن تستهوي عقلك لآرائهم فإنهم من الضالين، وعليك بجماعة المسلمين أهل العلم المتَّبَع والحق المبين ، الذين وافقوا الإجماع ، وخالفوا أهل الابتداع ، وابتعدوا عن الرعاع ، وقاموا لنُصرة الله ورسوله ﷺ فعملوا بما علموا انقياداً لقوله ﷺ « من عمل بما يعلم ورّثه الله علم ما لم يعلم » .

وقال المؤلف - رضي الله عنه - في مكان آخر من الرسالة المذكورة :
قال شيخنا (يعني أيضاً السيد الرواس) رضي الله عنه وعنا به :

طُرُق العبادة بعد الاجماع الأخير أربعة قرّرها علماء الدين بموافقة أقوال الأئمة الأربعة المجتهدين إمامنا الأعظم محمد بن إدريس الشافعيّ المطّلبي - رضي الله عنه - والإمام الأعظم أبي حنيفة - رضي الله عنه - والامام الأكمل مالك - رضي الله عنه - والامام الأجلّ أحمد - رضي الله عنه - فهؤلاء صدور السلف ، وأئمة الخلف لا يشذّ عنهم إلاّ من صرعه جهله أو غلبته نخوة نفسه فرأى لها شيئاً وهو لا على

شيء ، وما مُوافقتهم إلاّ تقييد وصورته تقليد إذ في الحقيقة التقليد لا يكون إلاّ للمعصوم ﷺ وإنما قيَّدنا أفهامنا بالموافقة لأفهامهم لعلمنا العلم اليقين أنهم أعلم منا بشريعة الله ورسوله ﷺ وحالة قربهم من مشارقة نور الرسالة ووجود الأئمة في الأُمّة فقد أجمعوا عليهم ، وسلموا أزمّة الإمامة في المذاهب اليهم ، فهم في مقام الموافقة المتَّبَعون ، وفي تبليغ الحكم المقلَّدون ، وإلاّ ففي الحكم فالمقلَّد سيد الكل في الكل ، وإمام دولة الرسالة في العقد والحل ﷺ ولنا الأخذ في بعض الأحيان بقول من لم نوافقه تقييداً تقليدياً في الاعمال منهم عِلماً بأنهم كلهم على هدى ولكن لا نُلَفِّق فنهدم حكم الاجماع ، ونُحدث مذهباً تلفيقياً تركن إليه من أهل الغي الطباع ، فإن التلفيق شأن من لم يكن على عهد الدين بوثيق ، ولا نُضيِّق على الأُمة فنخلط الجائز بالمستحيل فإن من يلعب في الدين على هذا الوجه ما هو إلاّ ضِليل والذي قضى به الحق الموفِّق المعين إنما هو اتِّباع سبيل المؤمنين .

وقال المؤلف ـ رضي الله عنه ـ في رسالته التي سمّاها بـ (الوقائق الروّاسية) قال رضي الله عنه (يعني شيخه السيد الرواس) :

كتاب الله معدن الحِكَم ولكن من وقف برأيه مع ظاهر مفهومه من غير علم منصوص سقط ـ والعياذ بالله ـ

في وهدة الهلاك بل عليه أن يأخذ حكمة أحكامه من سُنَّةِ المُفسر الأعظم ، نبيّ الرحمة سيدنا وسيد العرب والعجم محمد ﷺ وسُنته أيَّد الله مجدها مُفاضة الينا بالوسائط العالية الصادقة من الآل والصحابة والتابعين وأئمة الدين فإجماعهم حُجة ، وطريقهم محجّة ، قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فالموفَّق مُتَّبِع غير مُبتدع .

انتهى ما نقله سيدي السيد محمد أبو الهدى عن شيخه السيد محمد مهدي الرواس رضي الله عنهم ونفعنا بعلومهم ومحبتهم واتِّباعهم آمين.

وإليك أيها القاريء الكريم ما أنقله لك عن سيدي السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس رضي الله عنه مباشرة من رسالته التي سمّاها (فذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة) قال رضي الله عنه : المادة الأُولى الأخذ في المعتقدات بما أخذ به السلف الصالح من أهل السُّنة والجماعة الذين اتّبعوا رسول الله ﷺ وامتثلوا أوامر الله جلّت قدرته ووافقوا السواد الأعظم من أئمة الدين عليهم رضوان رب العالمين فاقتدوا بإمام من الأربعة الأعلام الذين جمع الله تعالى عليهم كلمة الأُمّة وقلّدوا بكل أعمالهم المعصوم الأعظم ﷺ

واتخذوا الإمام قدوة في إراءة طريق الشرع كالذي يدل الرجل على الهلال بإشارات وعلامات حتى إذا رأى الهلال اكتفى برؤيته عن عين غيره ، والإمام أعلم من المقتدي بدقائق الشرع وعلوم الصحابة ورواياتهم وأحكام اتفاقهم واختلافاتهم ، وأوثق في علم الترجيح لإحاطته أكثر ممن دونه ؛ وكل نص فرعي جاء في المذاهب أخذ به المتأخرون ووضعوا لمعناه إسماً فهو مستند إلى أصل صحيح من عمل النبي ﷺ أو قوله العالي أو إلى عمل أخذ الآل والاصحاب ينشق عن وجه يؤول إلى الآمر المطاع عليه الصلاة والسلام فاتّبع أيها المحب سبيل المؤمنين ولا تزلق مع الهالكين ، وكن مع الصادقين ، والله وليّك والسلام .

وقال رضي الله عنه في الرسالة التي مر ذكرها : المادة السادسة التباعد عن البدَع القولية والفعلية التي تُزلق عن طريق السلامة - والعياذ بالله - كالقول بالحلول والاتحاد ، وكالعلو في الارض والفساد ، وكالتلفيق في الاعمال كما يفعله أهل الانتحال ، وكمخالفة المذاهب الأربعة المتّبَعة والانزلاق إلى الأخذ بالكتاب والسُّنة بدون موافقة أحد الائمة الاربعة بزعم العمل بالسُّنة فإن ذلك من أهمّ البدَع السيّئة لتضمّنه هدم جدار الإجماع وتكذيب سلف الأمّة بلا علم ولا هدى ولا كتاب

منير ، والانحراف عن طريق الجماعة والسواد الأعظم الذي من شذّ عنه شذّ في النار ، وكشق العصى واتّباع الهوى وإضرار المسلمين في أموالهم ودينهم ومروءتهم ، وكإبطال الحق ، وَكَسبّ السلف من الصحابة والعلماء والاولياء ، وكالتبجح بالاعتراض على أحكام الدين المبين بالطيش والجهل والفهم السقيم ، وكتحريف حكم وإحداث ما لم يرضه الشرع ويؤيّده عمل الرسول ﷺ وعمل آله وأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم ، وكالدعوى العريضة والشطح المتجاوزين حدّ التحدّث بالنعمة ، وكتفضيل الانبياء والاولياء على بعضهم بغير وجه صحيح يؤيّده الحكم ، وكردّ النصيحة وإحقار الصالحين والمساكين وحُب الاغنياء والمتكبرين، والتقرب من أهل الزيغ والبدعة والإلحاد، وكصحبة الكذابين وترك الصادقين ؛ فالتباعد عن البِدَع القولية والفعلية التي تُماثل ما ذكرناه دأب الصالحين ، ومنهج العارفين ، والله خير الناصرين . انتهى النثر من كلام السيد محمد مهدي الرواس رضي الله عنه .

ويعجبني ما قاله نظماً وهو لا شك يعنيهم ، غير أنه تبع بذلك إثر جده الاعظم سيدنا رسول الله ﷺ فإنه لم يُعينّهم واكتفى بالتحذير منهم بذكر مساويهم حتى لا يغترّ المسلم بزيفهم وحُمقهم ودعاويهم قال رضي الله عنه :

ماذا يضرُّ البدر وهو في السَّما — من جحد خبلٍ طمَّ عينيه العمى
يلمع في الكون سناه مُشرقاً — فليجحد الأعمى الضياء كيفما
يا من إليه الله أولى نعمة — إصبر هيَ الحسادُ ترمي النِّعما
والله لا يرفع قول حاسدٍ — ولو بَنى إلى السماء سُلَّما
سلِّم إلى الله ولا تضجر فمن — سَلَّم لله بأمرٍ سلِما
وكن مع الله ولا تخشَ السِّوى — في السِّوى اشهد بالوجود العدما
طِرْ أنت للباري بقلب خالص — وامحق غُبار الغير مهما عظُما
وارجع إلى الله تعالى واسترح — وهو بلطف الصُّنع يُبدي الكرَما
ما خاب من عزَّ بمولاه ولا — ذلَّ ولا فيما يروم نَدِما
كم قهر الحاسدَ سرٌّ بطشه — فردَّه بناره مُصطلِما
وكم بَنى دسائساً وفوقه — صار البِناء كلُّه منهدما
تبارك الجبّار في سلطانه — فردٌ يردُّ خاسئاً مَن ظَلما
ويبعث الغارة من قلب القضا — فتصرع الباغي وتحفظُ الحمى
فلا تكن بُنيَّ باغياً ولا — تخف ولو أمطرت الدنيا دِما
وارقب من النصر الإلٰهيّ يداً — تمحو من الخصم الألدِّ الأرسُما
واقرأ بلوح الغيب خطاً ظاهراً — منمنماً يفهمه من فَهِما
فيه لنا النصر وإن طاش العِدا — ولقّنوا الزور الأنيق الأُمَما

والخذل والذل لهم وإن علوا　　بزعمهم وكعبُ وهمهم سمـا
عاقبــة الأمر تُذيع سرّه　　ويُصبح الجاهل ممن علِما
فكن أمين القلب بالله وصِر　　لحكمه مــع الرضا مُستسلِما
سينجلي الليلُ ويبرزُ الضحى　　وينطوي السوءُ الذي قد عتَّما
وينصرُ اللهُ بمحض عــدله　　حزينَ قلب من حسود ظَلما
وهكذا اللهُ جرت عاداته　　وهو إله الارض جلَّ والسما

وقال أيضاً ـ رضي الله عنه ـ في مثلهم، يُنبه المؤمنين والمسلمين من شرّهم وأشرِهم :

الخِبُّ ميّال مـع الشُّبهات　　وأسيرها في القيد والإفلاتِ
يُلقي الجميــل تأوُّلاً عن باله　　ويرى القبيح بأيسر الزلاّتِ
وتهزُّه للسوء طيشـاً نفسـه　　مـع عجزه لتلوُّن الحركاتِ
ويطير للزور الملفّق سمعه　　ويعدُّه من مُحكم الآيات
ويروح في الخبر الشريف مُشكّكاً　　لكثيف ما يطوي من الظلمات
والخيرَ يُهمله ويحفظ ضدّه　　وينـــام طيّ ترقُّب العثرات
يزهو إذا سمـع المذمـة طوره　　لكريم طوْر شامخِ الدرجات
ويردُّ عن مدح الأماجد وجهه　　لؤماً وفي الأمر اختلاف جِهات

يعمي إذا برزت حقائق ذاته ولغيره يحتاطُ بالهفْوات
ولخبثه ينسى عظائم فعله ويؤاخذ الأمجادَ بالكلمات
متمكِّن بزعومه وبدينه متلوِّن الحركات والسكنات
والمستحيلَ يراه شيئاً ممكناً ويرى استحالة ممكن العادات
فهواه في نظر المحقِّق دينه عبدُ الهوى في المحوِ والإثبات
ويري يزيدَ أبا يزيدَ بلحظة وبمثلها يُلقيه في الدركات
إيّاك والأخباب لا تركن لهم في فسحة الخلْوات والجلْوات
يُبدونَ صدقاً من فسادٍ هل ترى ماء الحياةِ بلدغة الحيَّات
دعهم على ما هم عليه فإنهم رهن المصائب في قيودِ شتات
مهما توطَّد أمرهم فارقب لهم محقاً فهم في قبضة النكبات
وعليك بالأخيار فاصحبهم وكن في ركبهم مع ثورة الساقات
فالخير في الأخيار لم يبرح لهم إلفاً أليفَ تمكُّن وثبات
فاصفح إذا عثروا وإن هم أذنبوا فاسمح سَماح مُوافق ومُوات
إن الكرام إذا سترت عيوبهم بذلوا لك الأرواحَ في الشدات
وغدوا عبيدك في تقلُّبهم وإن هم في الحقيقة خُلَّص السادات
وبقيد طاعتك انبرت أحياؤهم في مشهد التسليم كالأموات
يكفي الكريم جميل صنعكَ مرةً والخِبُّ لا يرضيه بذل مئات

وأخو النزاهـة لا يرى لخليله عيباً فأنعم بالـنزيه الذّات

فاستجلِ بالنيّات دربك من رقيـ قةِ إنمـــا الأعمال بالنيّات

يقول جامعها : فمن أراد المزيد في هذا المعنى ، وقد لحقه من أهل الأفهام السقيمة بعض العنا ثم صادف هذا البحث وقرأه ولم يكن قد قرأ هذه المجموعة من أوّلها حتى وصل إليه فعليه أن يعود إلى قراءة الرسالة التي ضمن هذه المجموعة (أشرف الوسائل) المسماة بـ (تطبيق حكم الطريقة العليّة على الأحكام الشرعية النبوية) حتى نهايتها وأن لا يقتصر ولا يختصر ولا يكتفى بالتصفّح فقط فإنه يطّلع على أقوال العلماء العاملين، وأئمة المسلمين من بعد عصر الصحابة والتابعين منذ اثني عشر قرناً الى هذا العصر والحين. هذا مع التحقيق والتدقيق ومنتهى الإيجاز لإزالة قتام الطغام الادعياء المفسدين بنور الكتاب والسُّنه ، وترجمة ذلك بألسنة الصادقين العارفين الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز بقوله (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) فإنك أيها المؤمن الصادق الموَفّق متى اطّلعت على ما ذكرته لك تجد - إن شاء الله - ما يثلج صدرك ، ويجعلك على بصيرة من أمرك ،فمن يا ترى يترك موافقة الأئمة المجتهدين بأقوالهم وتحقيقاتهم وقربهم من عصر النور ، ويتبع أو يوافق أقوال أهل عصر الظلمات

والفجور ؟ ويتّبع أو يُوافق أقوال المتفانين على المناصب والظهور ؟ ويتّبع أو يُوافق أقوال المهموكين في الشهوات والمنافسة في المقتنيات والقصور ، المرتطمين في أوحال الملاهي والمخالفات في كافة الأُمور ؟ كلاّ والله فلا يقبل ذلك المأفون ، ولا يفعله ممن يعرف الحق والصدق ولو كان من أهل المُجون (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) انتهى .